الدعاء في الموروث الديني واللغوي
دراسة صرفية دلالية

د. ابتسام ثابت محمد العاني

المقدمة:

الحمدُ للهِ الذي تواضعَ كلُّ شيء لعظمته، الحمدُ لله الذي استسلم كلُّ شيء لقدرته، الحمدُ لله الذي بيده تصريف الأمورِ كلِّها، الحمدُ لله الذي ذلّ كل شيء لعزته.

في تراثنا درر وللآلئ غزيرة ؛تتسع آفاقها مهما تقدم الزمن فهي تغدق وتعطي للدراسات اللغوية لمعانًا وبريقًا ولاسيما في القرآن الكريم المعجز، إذ ترعرعت على ثمار بلاغته ومكانته التي لا تدانى مواهبُ كثيرة. كان وما يزال للقرآن فضلٌ كبيرٌ في توحيد العربية وحفظها، فنالت بذلك نصيباً متسعا من الدرس والاهتمام ما لم تحط به أخواتها من لغات شعوب الأرض.

وقع اختياري في البحث الموسوم: (الدعاء في الموروث الديني واللغوي/دراسة صرفية دلالية)، اقتداء بمن جاء الدعاء على لسانه: ((لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)) الأحزاب/٢١. حيث كان عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم يُكثر من الدعاء كما كان الأنبياء والرسل من قبله يكثرون الدعاء؛ لأنّهم أعلم الناس بفضله وأقربهم من الله منزلة، وقد استعمل القرآن مادة (الدعاء) في تسعين ونيف مرة، تعددت صيغها كما تعددت مدلولاتها التي سيجلى عنها الضباب في طيات البحث وخاصية الدعاء لبني آدم حاجة ملازمة مادام هو على وجه الخليقة، فكم من إنسان افتقر غاية الفقر حتى كاد يهلك فإذا دعا أجاب الله دعاءه، وكم من إنسان مرض حتى يأس من الطبيب، ويأس هو من الحياة، يدعو الله فيجيب الله دعاءه، قال تعالى عن أيوب: ((وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين))الأنبياء/٨٣، حيث ذكر حاله يريد أن يكشف الله عنه الضر فاستجاب له ربه في قوله تعالى: ((فأ ستجبنا له فكشفنا ما به من ضُر))الأنبياء/٨٤. والقضاء مردود بأمر الله إذا حضر الدعاء الصادر عن قلب ويقين بان الأمر كله لله، عليه جاء في موروثنا الديني في الأثر عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم): [لا يردُ الدعاء إلا القضاء].

ترمي الدراسة إلى فهم (الدعاء) لاعتباراتها المشار إليها عن طريق فهم النص القرآني وتحليل النسيج اللغوي الذي ترد فيه. ومحاولة تفسير نوع العلاقات اللغوية التي وردت في النسيج القرآني. وفضلا عما للدعاء من أهمية كبيرة فانه لم يحظ بدراسة لغوية مستقلة به، سوى بعض الإشارات هنا وهناك. وقد وجدتُ في القرآن الكريم لمادة (دعو) عرضا لغويا مميزا خاصا بها لتوضيح أثرها العبادي، وأهميتها في حياة العباد ؛وقد درست بنية المادة وهي مفردة ثم درستها في ضمن التراكيب المستعملة فيها فاستلزم مني توجيهات منوعة لأجلي وضوحها من هذه التوجيهات:

- صوتية عرضية لأهمية أصواتها الثلاث.
- صرفية لورود المادة بصيغ عدة وُبنى مختلفة.
- دلالية تجسد معانيها المستعملة.

التمهيد:

أولا: مفهوم الدعاء عند أهل اللغة وعند الاصطلاحيين:

لفظة (دعاء) اشتقت عند المعجمين من الفعل الثلاثي (دعا) والذي أصله (دعو) ؛لأنّ مضارعه يدعوفهو إذن (دعا، يدعو، دعاء).وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك (١).

دعاه، واستدعاه:صاح به. ودعوت الله له وعليه، أدعوه دعاء. والدعوة: المرة الواحدة، والدعاء: واحد الأدعية (٢).

دعا الرجل دعوا ودعاء:ناداه.

والاسم: الدعوة. ودعوت فلانا: أي صحت به واستدعيته، وأصله دعاو ؛لأنه من دعوت، إلا إن الواو لما جاءت متطرفة بعد الألف همزت (٣)، ثم أقيم هذا المصدر مقام الاسم.أي:أطلق على واحد الأدعية، وأقيم مصدر العدل مقام الاسم في قولهم:رجل عدل (٤). إن الدعاء هو أحد دلالات النداء الخارجة عن معناها الأصلي، والدعاء هو الطلب(٥)، وعند النحويين يكون الدعاء على لفظ الأمر، ومن المستعظم أن يقال أمر؛لأن الأمر لمن دونك، والدعاء لمن فوقك(٦)، (وإذا قلت: اللهم اغفر لي فهو كلفظك إذا أمرت فقلت: يا زيد أكرم عمرا)(٧). والدعاء هو الطلب والابتهال: يقال: دعوت الله أدعوه دعاء: ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير. ودعا الله:طلب منه الخير ورجاه منه. ودعا لفلان:طلب الخير له، ودعا على فلان: طلب له الشر.

والدعاء سؤال العبد ربه على وجه الابتهال ، وقد يطلق على التقديس والتحميد، كذلك:(هو الطلب على سبيل التضرع والخضوع، ويكون في أسلوب الأمر إذا صدر من الأدنى إلى الأعلى منزلة) (٨)، كما في قوله تعالى: ((قال ربِ اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي))طه/٢٥-٢٨. وقوله تعالى: ((ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان....ربنا فاغفر لنا ذنوبنا)) آل عمران/١٩٣.

ثانيا /المستوى الصوتي للفظة (الدعاء):

يمثلُ المستوى الصوتي واحدا من أربعة مستويات في اللغة يقوم عليها التحليل اللغوي --إلى جانب المستوى الصرفي والمستوى النحوي والمستوى الدلالي—وفي المستوى الصوتي تكمن دراسة أصغر وحدة في الكلمة وهو الصوت من حيث مخرجه وصفاته(٩).فالصوت ظاهرة طبيعية ندرك أثرها من دون أن ندرك كنهها، فقد أثبت علماء الصوت بتجارب لا يتطرق إليها الشك في أنّ كلَ صوت مسموع يستلزمُ وجود جسم يهتز(١٠).

أما المخرج فهو المسلك في الجهاز النطقي وموضع الخروج منه.ويتحدد بأعضاء النطق المشاركة في إخراجه، أو أكثرها اشتراكا في عملية إخراجه؛ لذا نُسبت معظم الأصوات إلى أعضاء النطق(١١)، أما صفة الصوت أو نوعه فهي(تلك الصفة الخاصة التي تميز كل صوت عن صوت وإن اتحدا في الدرجة والشدة.وهكذا نستطيع أن نميز صوت الكمنجة من العود رغم احتمال اتحادهما في الدرجة والشدة (١٢)، وعلى ذلك فان صفة الصوت هي (الحالة التي يصف به الصوت اللغوي عند إخراجه من حيث رخاوته أو شدته أو جهره...أو ما أشبه هذه الصفات)(١٣).

إنّ أصوات أي لغة من لغات البشر عرضة للتغير، والذي يميز(لغتنا هو احتفاظها بأنسابها اللغوية، فلم يعترها من التغير في النطق بحروفها ما اعترى سائر اللهجات في العالم، والسبب في ذلك سعة مدرجها الصوتي...فانّ معجزة الكلمة العربية تتجلى في ثبات أصواتها التي تومئ إلى مدلولاتها)(١٤).وما أداء قُراء القرآن اليوم إلا دليلٌ حيٌّ على الحفاظ على أصوات العربية بصورتها القديمة.

مخارج أصوات مادة (دعو) وصفاتها الصوتية: أولا- مخرج صوت الدال:

(الدال) هو أول أحرف في (دعو) ؛صنفه الخليل بضمن الأحرف النطعية، أي:الغارية، (والدال نطعية ؛لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى)(١٥)، ويصف سيبويه مخرج (الدّال) بقوله:(ممّا بين طرف اللسان وأصول الثنايا)(١٦).

أما المحدثون من علماء العربية فيوافقون علماء السلف، إذ يرون أن صوت(الدال) يتكون: عندما يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاءً محكماً، إذ يأخذ الهواء

(مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرج الصوت فينحبس هناك مدة قصيرة جدا لالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا التقاء محكما.فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سُمع صوت انفجاري نسميه بالدال)(١٧). وعده الدكتور تمام حسّان:صوتا أسنانيا لثويًا(١٨). وقد وضع الدكتور كمال بشر صوت (الدّال) بضمن مجموعة أطلق عليها تسمية (الوقفات الانفجارية) ؛وقد أطلق عليها هذه التسمية ؛لأن مجرى الهواء الخارج من الرئتين يحبس حبسا تاما ثم يطلق سراحه فيحدث صوتا انفجاريا: (فهذه الأصوات باعتبار الحبس أو الوقف يمكن تسميتها بالوقفات....)(١٩)وكما نرى لا يبتعد رأي المحدثين عن رأي أسلافهم من القدامى بل يوافقه وينتمي إليه.

أما الصفات الصوتية لصوت (الدال)فهي: الجهر، والشدة، والانفتاح(٢٠)، والترقيق، والاستفال، والقلقلة، والطلاقة، والإصمات(٢١).

ثانيا- مخرج صوت (العين) وصفاته الصوتية:

تصدر صوت العين الحروف العربية بحسب التصنيف الذي وضعه الخليل لمعجمه الموسوم بـ(العين)، يقول الخليل: (أقصى الحروف كلها العين)(٢٢)، وهو صوت حلقي(٢٣)، بحسب ما قرره. ولم يلتبس على الخليل-كما يشيع عند كثير من باحثينا أو كلهم-وجود أصوات تسبق(العين)مخرجا، وأما مخرج العين....فالحلق.وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رُفه عنها لانت)(٢٤).و فضلاً عما يتمتع به صوت(العين)من نصاعة بين الحروف العربية، (العين والقاف لا تدخلان في بناء إلا حسنتاه ؛لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جَرْسا فإذا اجتمعا أو أحدهما في بناء حَسُنَ البناء لنصاعتهما)(٢٥)، فقد تنبه إلى أهمية عمله وأنه سيغدو معينا ومرجعا ساطعا ينهل منه طلبة العربية وباحثوها قديمهم ومحدثهم على اختلاف مشاربهم؛ لذا رأى أن يبتدئ عمله بحرف طلق ضخم ناصع فكان:(العين) ومن المعلوم أن صوت(العين)لا يشاركه صوت آخر في العربية، في صفة النصاعة سوى صوت القاف إلا أن مخرج القاف مما يلي مخرج (العين) من اللهاة(٢٦)؛لذا تقدم(العين) عليه.

ويضع سيبويه صوت (العين)بضمن مجموعة (الأصوات الحلقية)(٢٧)، وقد وافقه ابن جني في تحديد مخرج (العين) بالحلق(٢٨). أما علماء اللغة المحدثون فقد قرروا كذلك، أن مخرج(العين) من الحلق(٣)، فـ(مخرجه وسط الحلق.فعند النطق به يندفع الهواء مارا بالحنجرة فيحرك الوترين حتى إذا وصل إلى وسط الحلق ضاق المجرى)(٤).و(العين) هو النظير المجهور للحاء.فالفرق بينهما هو:تذبذب الأوتار الصوتية مع (العين) وعدم ذبذبتها مع الحاء(٢٩).

أما الصفات الصوتية لصوت (العين)، فهي: الطلاقة، والنصاعة، والجهر، والتوسط، والانفتاح(٣٠)، والترقيق، والاستفال، والانفجار، والإصمات(٣١).

فـ(العين) من أطلق الحروف العربية ولا يشاركها في هذه الصفة إلا القاف والطلاقة من الصفات المستحسنة، و(العين) صوت ناصع وهذه الصفة تُعد من جنس صفة الطلاقة، فالنصاعة في اللغة:الشيء(الشديد البياض، الحسن اللون)(٣٢).

ويمكن لنا الربط بين صفات أصوات مادة(دعو) وتأثيرها على معناها وقد اتضح ذلك من خلال عرض الصفات الصوتية التي تفرد بها صوت العين وانسجام الأصوات المكونة لمادة البحث، وإطلاق لفظة الدعاء حينما يكون الإنسان في حال حاجته الماسة ولجوءه إلى الله فالمريض، ومن يمر به موقف عصيب، فكل يتلفظ بالدعاء من أقصى مخرج لجهازه الصوتي ويكون هذا موافق لتصدر (العين) في مخارج الجهاز الصوتي.

• المستوى الصرفي لمادة(دعو)، وتطبيقاتها:

للمستوى الصرفي أهميةٌ تنبعُ من طبيعة مفهوم هذا الجانب فهو يُعنى ببِنية الكلمة وهي مفردة فيعرض لأحوالها وتغيراتها – دون الإعراب-والهيئة الناجمة عن هذه التغيرات التي تفيد دلالات مختلفة(٣٣).

ويبنى الجانب الصرفي على ثلاث دعامات أساسية هي(٣٤):

١- مجموعة من المعاني الصرفية التي يرجع بعضها إلى تقسيم الكلم ويعود بعضها الآخر إلى تصريف الصيغ.

٢- طائفة من المباني تتمثل بالصيغ المجردة والزوائد والأدوات.

٣- طائفة من العلاقات الإيجابية، وأخرى من المقابلات أو القيم الخلافية بين المعنى والمعنى، وبين المبنى والمبنى.

ومجال بحثه الأسماء المتمكنة (المعربة)، والأفعال المتصرفة (غير الجامدة)(٣٥).

وتستمد الدلالة الصرفية رؤيتها من طريق الصيغ وبنياتها، فأي تغير في الصيغة، يؤدي إلى تغير في محتوى الدلالة، من خلال الإضافة الصوتية، أو الحذف (٣٦).

أولاً- أبنية الأفعال:

١- الماضية:

أ- (فَعَلَ)

انماز وزن الفعل الثلاثي (فَعَلَ) من سائر أوزان أبواب الثلاثي المجرد بكونه أخف تلك الأوزان، إذ أهَّلته هذه المزية إلى الدوران مع كثرة الاستعمالات المختلفة، فـ(لم يختص بمعنى من المعاني، بل استعمل في جميعها ؛لأن اللفظ إذا خف كثر استعماله واتسع التصرف فيه) (٣٧)، وقد ورد الفعل (دعا)والذي أصله(دعو) منه قوله تعالى: ((فإذا ركبوا))العنكبوت/٦٥ والسياق في هذه الآية يقتضي اللجوء إلى الله لا محال ؛لأنهم

في هذا الموقف وحين تتلاطم أمواج البحر أو هيجانه من القادر على النجاة غير الله وهنا تتجلى عظمته وقدرته أي أنهم (كائنون في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين، حيث لا يذكرون إلا الله ولا يدعون معه إلها آخر.وفي تسميتهم مخلصين: ضرب من التهكم)(٣٧).

وقوله تعالى: ((وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ)) الروم/٣٣.

عندما يمس الإنسان ضُر يعرف ربه جيدا ويعمل فكره، ويعترف بضعفه أمام خالقه فيتوجه بدعائه وتوسله لأن ينقذه الله مما هو فيه من الخطر ولكن ما أن يخلصهم الله يعودون إلى شركهم (يقول تعالى مخبرا عن الناس إنهم في حال الاضطرار يدعون الله وحده لا شريك له، وأنه إذا أسبغ عليهم النعم، إذا فريق منهم في حالة الاختبار يشركون بالله، ويعبدون معه غيره)(٣٨). وكانوا (راجعين إليه تعالى من دعاء غيره عز وجل من الأصنام وغيرها)(٣٩).

وقوله تعالى: ((وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ)) لقمان /٣٢.

أما (إذا غشي هؤلاء موج كالظلل، فخافوا الغرق، فزعوا إلى الله بالدعاء مخلصين له الطاعة، لا يشركون به هنالك شيئا، ولا يدعون معه أحدا سواه، ولا يستغيثون بغيره)(٤٠).

ب- المضارعة:

جاءت لفظة الدعاء بصيغة المضارعة كثيرة، حيث جاءت بصيغة (تفعلون) و(أفعل)و(تفعل)و(نفعل)، كذلك جاءت بحالات الاعراب الثلاث، وقد اتفقت على أن يكون الدعاء حصرا على رب العزة ونفت بالأساليب النحوية المعروفة لدى الباحثين فتارة ينفى الدعاء عن غير الله بـ (لم)وتارة بـ(لن)وأخرى بـ(لا) الناهية التي لا تقبل النقاش ثم بـ(لام الأمر) سيتضح ذلك من خلال عرض بعض الأمثلة:

منها قوله تعالى:((يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ))الحج/٧٩ (حقيق على كل عبد أن يستمع قلبه لهذا المثل، ويتدبره حق تدبره. فإنه يقطع مواد الشرك قلبه وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده وإعدام ما يضره. والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق الذباب، ولو اجتمعوا كلهم لخلقه، فكيف بما هو أكبر منه، بل لا يقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئا محا عليهم من طيب ونحوه، فيستنقذوه منه. فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو من أضعف الحيوانات، ولا على الانتصار منه، واسترجاع ما سلبهم إياه. فلا أعجز من هذه الآلهة، ولا أضعف منها. فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله؟

الدعوات وهذا المثل من أبلغ ما أنزله الله سبحانه في بطلان الشك، وتجهيل أهله، وتقبيح عقولهم، والشهادة على أن الشيطان قد تلاعب بهم أعظم من تلاعب الصبيان بالكرة، حيث أعطوا الآلهة التي من بعض لوازمها القدرة على جميع المقدورات، ولإحاطة بجميع المعلومات، والغني عن جميع المخلوقات، وأن يصمد إلى الرب في جميع الحاجات، وتفريج الكر بات، وإغاثة اللهفات)(٤١).وقوله تعالى:((ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي))الأنعام/٥٢

أي (لا تطرد هؤلاء الذين أخلصوا نفوسهم لله ؛فاتجهوا لعبادته ودعائه في الصباح والمساء؛يريدون وجهه سبحانه! ولا يبتغون إلا وجهه ورضاه...وهي صورة للتجرد، والحب، والأدب..فإن الواحد منهم لا يتوجه إلا الله وحده بالعبادة والدعاء.وهولا يبغي وجه الله، إلا إذا تجرد.وهو لا يبغي وجه الله وحده حتى يكون قلبه قد أحب.وهو لا يفرد الله- سبحانه – بالدعاء والعبادة ابتغاء وجهه إلا ويكون قد تعلم الأدب، وصار ربانيا يعيش لله وبالله...)(٤٢).

وعندما تحدى فرعون وتسفه على موسى مستخفا ودافعا إياه إلى الدعاء إذ الفعل المضارع في هذا المشهد مقترنا بـ(لام الأمر) وموسى متيقن بأن الله تعالى يقبل دعاءه، في قوله تعالى:((وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدعُ ربه))غافر/٢٦. (فانه تجلد وعدم مبالاة بدعائه)(٤٣).

وجاء النهي عن الدعاء من غير الله في أسلوب النهي القطعي باستعمال أداة النهي (لا الناهية) قوله تعالى:((ولا تدعُ من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذًا من الظالمين))يونس/١٠٦.

وكذلك جاء النفي الأبدي عن الدعاء من غير الله أو الدعاء غير الشرعي منه قوله تعالى: ((وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربُنا ربُ السموات والأرض لن

ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذًا شططًا)) الكهف/١٤.

ت- الأمرية:

أمرنا الله تعالى بطلب الدعاء منه وهو الآمر سبحانه لا ينبغي لنا إلا الطاعة والخضوع والاستجابة لأمره فهو يأمرنا بالطاعة وإتباع أوامره، وقد وعد الله المؤمنين الذين يدعونه بإخلاص الاستجابة إذ قال سبحانه: ((وقال ربكم ادعوني أستجب لكم)) غافر/٦٠.

إذ بين أحد المفسرين الأمر بالدعاء في هذه الآية الكريمة (وقال لهذه الأمة:ادعوني أستجب لكم)(٤٤)، وقال تعالى: ((ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها)) الأعراف/١٨٠.

(لأنها دالة على معان هي أحسن المعاني، والمراد بها الألفاظ وقيل الصفات. ((فادعوه بها)) فسموه بتلك الأسماء ((وذروا الذين يلحدون في أسمائه)) واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه، إذ ربما يوهم معنى فاسدا)(٤٥)

ومما جاء في صيغة الأمر الواجب قوله تعالى: ((وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا)) غافر/٤٩.

وقوله تعالى: ((ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين)) الأعراف/٥٦.

وقد (قيل: ولما كان الدعاء من الله تعالى بمكان كرره وقيده أولا بالأوصاف الظاهرة وآخراً بالأوصاف الباطنة، وقيل:الأمر السابق من قبيل بيان شرط الدعاء والثاني من قبيل بيان فائدته، وقيل لا تكرار، فما تقدم أمر بالدعاء بمعنى السؤال وهذا أمر بالدعاء بمعنى العبادة، والمعنى اعبدوه جامعين في أنفسكم الخوف والرجاء في عبادتكم القلبية والقالبية وهو كما ترى، ومن الناس من أبقى الدعاء على المعنى الظاهر وعمم في متعلق الخوف والطمع، والمعنى عنده ادعوه وأنتم جامعون في أنفسكم الخوف والرجاء في أعمالكم كلها، وليس بشيء والمختار عند جلة المفسرين ما تقدم) (٤٦)

- صيغ الدعاء الاسمية

أ- صيغة اسم الفاعل:

اسم الفاعل من الصيغ الاسمية التي تدل على الاستمرارية والتجدد وهي من المشتقات وقد استعمل القرآن الكريم هذه الصيغة منها قوله تعالى: ((وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان)) البقرة/١٨٦.

(ذكر في هذه الآية أنه جل وعلا قريب يجيب دعوة الداعي وبيّن في آية أخرى تعليق ذلك على مشيئته جل وعلا وهي قوله: ((فيكشف ما تدعون إليه إن شاء))، وقال بعضهم التعليق بالمشيئة في دعاء الكفار كما هو ظاهر سياق الآية، والوعد المطلق في دعاء المؤمنين.وعليه فدعاؤهم لا يرد، إما أن يعطوا ما سألوا أو يدخر لهم خير منه أو يدفع عنهم من السوء بقدره)(٤٧)، إن إضافة العباد إلى المعبود شيء ودليل على صدق الله مع العباد والإيفاء بالوعد أي (إضافة العباد إليه، والرد المباشر عليهم منه.. لم يقل:فقل لهم: إني قريب.. إنما تولى بذاته العلية الجواب على عباده بمجرد السؤال..قريب..ولم يقل أسمع الدعاء.. إنما عجل بإجابة الدعاء:((أجيب دعوة الداع إذا دعان)))(٤٨)، ثم وصف سيد قطب الآية الكريمة بأنها آية عجيبة تربط الإنسان بخالقه وديمومة هذا الترابط والعلاقة الطيبة للمؤمنين بربهم فقال:(إنها آية عجيبة..آية تسكب في قلب المؤمن النداوة الحلوة، والود المؤنس، والرضى المطمئن، والثقة واليقين..ويعيش منها المؤمن في جناب رضيّ، وقربى ندية، وملاذ أمين وقرار مكين. وفي ظل هذا الأنس الحبيب، وهذا القرب الودود، وهذه الاستجابة الوحية..يوجه الله عباده إلى الاستجابة له، والإيمان به، لعل هذا أن يقودهم إلى الرشد والهداية والصلاح) (٤٩).أما الدرويش فإنه يوضح الإجابة بقوله:(ويستجيبوا فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، أي:فليطلبوا إجابتي لأن السين والتاء في استفعل للطلب، والمعنى: فليستجيبوا إلي بالطاعة، يقال منه: استجبت له واستجبته بمعنى أجبته، قال:

وداعٍ دعا يا مَنْ يُجيب إلى النَدى
فلم يَستَجِبْهُ عند ذاك مُجيبُ) (٥٠).

ب – إضافة صيغة فعيل إلى (الدعاء):

إن صيغة (فعيل) من الصيغ الصرفية الدالة على المبالغة عند أهل الاختصاص جاءت في القرآن الكريم مضافة إلى معمولها، وقد تصدرت الآية (إنّ)المؤكِدة في قوله تعالى:((قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء))آل عمران/٣٨.

وقوله تعالى: ((الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل وإسحق إن ربي لسميع الدعاء))إبراهيم/٣٩.

يتفق المفسرون على أن الله تعالى

يجيب دعوة الداعي بعد سماعه على أن يكون من قلب صادق، (تجيب الدعاء :لأن الدعاء إجابة الدعاء بعد سماعه) (٥١) ، ولتوضيح الصورة في السياق القرآني، (أراد كثير الإجابة لمن يدعوك من خلقك وهو تعليل لما قبله وتحريك لسلسلة الإجابة) (٥٢)، وقد اقتدى زكريا بجده إبراهيم في الدعاء إن(في ذلك اقتداء بجده الأعلى إبراهيم عليه السلام إذ قال ((إن ربي لسميع الدعاء))) (٥٣) حيث ذكر الله تعالى في كيفية الدعاء ثلاث صيغ (قيل: قد ذكر الله تعالى في كيفية دعائه ثلاث صيغ.إحداها:هذه والثانية: ﴿إني وهن العظم مني﴾(مريم /٤) والثالثة:﴿رب لا تذرني....﴾(الأنبياء/٨٩) إلخ، فدل على أنّ الدعاء تكرر ثلاث مرات كل مرة بصيغة، ويدل على أنّ بين الدعاء والإجابة زمانا) (٥٤).

(فما الذي كان من هذا الدعاء الخاشع الحار المنيب؟ كانت الاستجابة التي لا تتقيد بسن، ولا تتقيد بمألوف الناس؛لأنها تنطلق من المشيئة المطلقة التي تفعل ما تريد: إن الله يبشرك..... لقد استجيبت الدعوة المنطلقة من القلب الطاهر، الذي علق رجاءه بمن يسمع الدعاء، ويملك الإجابة حين يشاء..... لقد استجيبت الدعوة، ولم يحل دونها مألوف البشر الذي يحسبونه قانونا.ثم يحسبون أن مشيئة الله –سبحانه- مقيدة بهذا القانون!.....فما أجدر الإنسان أن يتأدب في جناب الله) (٥٥)

فضلا عن هذه الصورة الربانية والحوار بين الرب والعبد فقد حلل المفسرون استعمال هذه الصيغة الصرفية وما دلت عليه في هذا المقام المحمود (فإن قلت: ما هذه الإضافة إضافة السميع إلى الدعاء ؟ قلت:إضافة الصفة إلى مفعولها، وأصله لسميع الدعاء. وقد ذكر سيبويه فعيلاً في جملة أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل..... ويجوز أن يكون من إضافة فعيل إلى فاعله، ويجعل دعاء الله سميعا على الإسناد المجازي والمراد سماع الله) (٥٦).

المبحث الثاني

• المستوى الدلالي للفظة (الدعاء) وتطبيقاته

مفهوم الدلالة لدى القدماء والمحدثين:

يقصد بالدلالة في الاصطلاح اللغوي القديم: (الدلالةُ:مصدر الدليل بالفتح والكسر) (٥٧)، وهو ما نستدل به، والدليل:المرشد إلى المطلوب، ومنه:يا دليل المتحيرين أي هاديهم إلى ما تزول به حيرتهم- وقد دلّه على الطريق يَدُلُّهُ.... أي سدده إليه أوصله إلى معرفته به (٥٨)، والدلالة على الشيء، هي: (إظهار المدلول عليه) (٥٩).

- الدلالة في الاصطلاح:

أما الدلالة في الاصطلاح، فقد عرّفها الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، بأنها: (كون الشيء بحالة يلزم من العلم به، العلم بشيء آخر، والشيء الأول هوا لدال، والثاني هوا لمدلول) (٦٠)، وهذا التعريف لم يبتعد كثيرا عن التعريف اللغوي للدلالة. أما مفهوم الدلالة لدى المحدثين فهو أدق وأوسع مما كانت عليه قديما، إذ ارتبطت بعلم الدلالة (semantics).

يعنى علم الدلالة بدراسة المعنى أو نظرية المعنى (٦١).ولكل علم وظيفةٌ ووظيفة هذا العلم البحث في معاني المفردات، وفي معاني الجمل، فضلا عن وضع القوانين العامة التي تخضع لها معاني الألفاظ، وما يطرأ عليها من التغيير:كالتوسع، أو التضييق، أو التطور، أو الانحدار، أو غيرها(٦٢).

جاءت لفظة (الدعاء) بدلالات مختلفة وضحها علماء تراثنا اللغوي الضخم الثر، وقد حاولت جادة أن أبينها في الآتي:

١ – إن لفظة (الدعاء) هي نوع من أنواع العبادات يقول تعالى: ((وإذا غشيهم موج كالظُّلل دعوا الله مخلصين له الدين)) لقمان/٣٢. فإذا أصاب الغافلين عن ذكر الله موقف عصيب وفي هذه الآية الكريمة وصف لحالتهم حينما يغطون بأمواج البحر اللجي، والظلل هنا:جمع ظُلة بضم الظاء أي كل ما أظلك من جبل، أو سحاب، أو شجر، أو غيرها، عندها لجأوا إلى عبادة الله الذي لا إله غيره(٦٣).

٢- من دلالات (الدعاء) النسب أو التسمية، فعندما وضع الله تعالى قاعدة قرآنية للناس يعلمهم كيف ينادون الأبناء بالتبني، ويعلمهم أيضا أن رسول الله ليس له ابن كما كان في قصة زيد بن حارثة حين تبناه نبينا المصطفى (صلى الله عليه وسلم) فكان يدعى زيد بن محمد، فوضع المولى عزّ وجل هذه القاعدة القرآنية، يقول تعالى: ((ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به

ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما)) الأحزاب/٥.، حيث جاءت دلالة (ادعوهم):انسبوهم أو اجعلوهم لآبائهم الحقيقيين.

٣- من الدلالات الواضحة للفظة (الدعاء) هي:دعوى الرسل للناس إلى دين الله، وقد وضحت هذه الدعوة القرآنية في آيات القرآن، ولنا في رسول الله أسوة حسنة، قال تعالى: ((ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين))النحل/١٢٥، وقوله تعالى:((ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين))فصلت/٣٣، وهنا يتجلى الأمر أن أفضل القول وأحسنه من يدعو الناس اللجوء إلى الله جل وعلا وحده، ويعمل ويعمل صالحا، والعمل بكتابه وسنة نبينا الكريم.

٤- ومن الدلالات المهمة والمعاني الأهم لـ(الدعاء) هي خاصية علاقة الإنسان بخالقه والقرب منه والتوجه إليه وشكره في السرّاء والضرّاء، فهو يعلم ما تخفي الصدور، وما تعلن. ويذهب الأصفهاني(ت ٥٠٢هـ) إلى أن الدعاء كا لنداء لكن الفرق بينهما أن الثاني قد يقال بـ(يا) أو(أيا) من غير أن يضم إليه الاسم، والدعاء لا يكاد يقا ل إلا إذا كان معه الاسم نحو يا فلان، وقد يستعمل:

١- كل واحد منهما موضع الآخر قال تعالى: ((كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء)) البقرة/١٧١.

٢- ويستعمل استعمال التسمية نحو دعوت ابني زيدا أي سميته، قال تعالى: ((لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا)) النور/٦٣، حثا على تعظيمه وذلك مخاطبة من كان يقول يا محمد(٦٤).

٤- وإذا أصا بتنا شدة لم نفزع إلا إلى الواحد الأحد، قال تعالى: ((قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ×بل إياه تدعون)) الأنعام/٤٠و٤١، تنبيها أنكم إذا أصابتكم شدة لم تفزعوا إلا إليه (٦٥).

٥- والدعوى الدعاء، قال تعالى: ((وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)) الأنعام/٤٠.

وعند القزويني (ت٧٣٩هـ) الدعاء: (إذا استعملت في طلب الفعل على سبيل التضرع نحو: ((رب اغفر لي ولوالدي)) نوح/٢٨)(٦٦).

والدعاء: (هو الطلب على سبيل التضرع والخضوع، ويكون في أسلوب الأمر إذا صدر من الأدنى إلى الأعلى منزلة(٦٧)، كما في قوله تعالى: ((قال رب اشرح لي ((صدري(٢٥) ويسر لي أمري(٢٦) واحلل عقدة من لساني(٢٧) يفقهوا قولي(٢٨)))طه. وقوله تعالى: ((ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار))آل عمران/١.

المبحث الثالث:نماذج من الدعاء على ألسنة الأنبياء والصالحين:

إن ماهية وجوب التحلي بها ونحن واقفون بين يدي العلي القدير ندعوه ونتضرع إليه ونطلب منه الرضا والرحمة والمغفرة والقبول أن نناجيه بصوت خفي يتناسب وقدره الجليل وبتأدب، قال تعالى: ((ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين)) الأعراف /٥٥، يتضح من معنى الآية إن من لا يتبع قواعد الدعاء يعد من المعتدين، وقال عز من قائل: ((واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول)) الأعراف /٢٠٥، (أي:متضرعين خائفين)(١)، قال تعالى: ((قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى)) الإسراء/١١٠، فهذه الآيات توضح لنا كيف هجر المسلمون القرآن وتناسوا تدبر معانيه وخالفوا آيات الله عز وجلا في الدعاء.من الدعاء عند المحن قول الحق: ((قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين)) البقرة /٢٥٠.

وهناك دعاء لا بد أن يتذكره العبد وباستمرارية حياته وديمومتها حفاظا على نفسه من الأهواء ومن الرجوع عن الهدى والحق المبين قال الله: ((ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)) آل عمران /٨ . وعند طلب الإنسان للذرية الصالحة والتقوى، يقول تبارك اسمه: ((والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)) الفرقان /٧٤.

وبديهي لا يوجد أفضل من الأنبياء والرسل للإقتداء بهم في كل شيء منها:

١- دعاء خليل الله إبراهيم أن يجعله

ربه مقيم الصلاة وذريته يقول سبحانه وتعالى: ((رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء)) إبراهيم /٤٠، ثم يدعو لأبيه وللمؤمنين بالمغفرة يوم الحساب((ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب)) إبراهيم /٤١، ودعاء آخر لأبينا إبراهيم يطلب الذرية من رب البرية يقول جل في علاه على لسان أبينا إبراهيم: ((رب هب لي من الصالحين))الصافات /١٠٠.

٢ - ومنه أيضا أصحاب الكهف بعد أن أووا إلى الكهف يطلبون رحمة الله وأن يهيئ لهم الصواب من أمرهم يقول عز وجل: ((إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا))الكهف /١٠.

٣- ودعاء نبي الله نوح بعد أن صنع السفينة وأخذ فيها من كل زوجين اثنين أن ينزله الله مكانا مباركا يستقر فيه، يقول تعالى: ((وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خيرالمنزلين)) المؤمنون /٢٩.

٤- دعاء نبي الله يونس إذ ذهب مغاضبا وركب في السفينة ووقع عليه الحكم أن يكون من المدحضين في الماء بعد أن قارع لكي يلقى أحد ركاب السفينة في الماء فالتقمه الحوت فكان يسبح الله عز وجل وهو في بطن الحوت ويدعوه اعترافا بخطئه يقول تعالى: ((وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)) الأنبياء /٨٧، وبعد أن خرج من باطن الحوت فإنها ظلمات البطن وظلمات البحر يقول الله وهو أصدق القائلين إذ يصف هذا النبي وما كان يفعل ويقول: ((فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون)) الصافات /١٤٣و١٤٤، و من قصة نبي الله يونس نعتبر وأن لا نلجأ لغير الله ندعوه ونسبحه ليخرجنا من أي شدة تصيبنا وكارثة تحل بنا. (١) إعراب القرآن وبيانه:٣/٩٧.

٥- دعاء أول الأنبياء آدم وزوجه (زوجته)، عليهم السلام بعدما وسوس إليهما الشيطان وأكلا من الشجرة التي أمرهما الله الجليل ألا يأكلا منها يقول تعالى: ((قا لا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)) الأعراف /٢٣.

٦- دعاء نبي الله سليمان قوله تعالى: ((....وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين)) النمل /١٩.

٧- ومن دعاء نبي الله زكريا قوله تعالى: ((هنالك دعا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء)) آل عمران /٣٨.

ثم نستشهد ببعض أدعية الصالحين والمؤمنين منها:

١-دعاء الفئة المؤمنة التي آمنت بربها أن يغفر لهم ويرحمهم ولا يخزهم يوم القيامة يقول تعالى: ((ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد))آل عمران /١٩٣ و١٩٤.

٢- دعاء الصالحين ينبئنا به المولى عز وجل بما هو خير من متاع الدنيا وما فيها من شهوات، وإن الذين اتقوا ربهم لهم رضوان وأزواج مطهرة في جنات هم فيها خالدون، ثم يقول جل شأنه ماذا كان يقول هؤلاء المتقون ((الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار)) آل عمران /١٦.

٣- وتوجيه آخر من رب العالمين للمؤمنين أن يذكروا الله كثيرا حتى بعد انقضاء الصلاة ((يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ٩فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون))الجمعة/٩و١٠.

هذه هي بعض النماذج القرآنية للدعاء في القرآن الكريم، ولو قرأ كل منا القرآن بتدبر وتمعن وتعقل بهدف الهداية والوصول إلى الحق فان الله يهدي من يشاء إلى صراطه المستقيم، يقول جل شأنه: ((والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)) الأعراف /٢٣.

المبحث الرابع /فضل الدعاء وفوائده:

خلق الله الإنسان وكله مشاعر

وأحاسيس، تعصف به أحيانا أمواجا وتخيلات نتيجة ضغوط الحياة المتزايدة والمتكررة ؛يشعر عندها وكأن الدنيا غلقت عليه منافذها فمن امتلك يقينا إن الله خالقه متول أمره عندها يلجأ إليه متقربا بالدعاء والتضرع:

- الدعاء دليل على توحيد الله تعالى وإثبات ربوبيته وأسمائه وصفاته، (قال ابن عقيل:قد ندب الله تعالى إلى الدعاء وفيه معان:الوجود والغنى والسمع والكرم والرحمة والقدرة، فان من ليس كذلك لا يدعي)(٦٨).
- إن الله تعالى أمر به وحث عليه، وكذلك رسوله الأمين (صلى الله عليه وسلم)، قال تعالى: ((واسألوا الله من فضله)) النساء/٣٢، وقوله تعالى:((وقال ربكم ادعوني استجب لكم))غافر/٦٠، وعن أبي هريرة قال:قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): [من لم يسأل الله يغضب عليه] (٦٩). في الآيتين الكريمتين استعمل القرآن صيغة الأمر من الله (اسألوا) و(ادعوني)، فالسؤال والدعاء مقصوران على الله تعالى.
- إنه مفتاح أبواب الرحمة، وسبب لرفع البلاء قبل نزوله وبعد نزوله، عن أبي عمر (رضي الله عنهما) قال:قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):[من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة.....، إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء](٧٠)
- إن الله تعالى قد وعد بإجابة الدعاء، وإنه قريب من أهل الدعاء، قال تعالى: ((وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان))البقرة /١٨٦، وقال تعالى: ((ادعوني استجب لكم)) غافر/٦٠.
- ينهى الله تعالى عن الإساءة إلى أهل الدعاء، تشريفا وتكريما لهم فقال تعالى: ((ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ماعليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين))الكهف/٢٨.
- وعد الله من لزم الدعاء فلن يدركه الشقاء، قال تعالى على لسان زكريا: ((ولم أكن ربّ شقيا)) مريم/٤، وقال عن خليله إبراهيم:((عسى ألا أكون بدعاءك ربي شقيا))مريم /٤٨.
- في الدعاء سبب لدفع العذاب، ومانع من موانع العقاب، وان المواظبة على الاستغفار لهو من باب الدعاء، قال تعالى: ((وما كان الله معذ بهم وهم يستغفرون)) الأنفال /٣٣، قال ابن تيمية: (الذنوب تزول عقوباتها بأسباب..وتزول أيضا بدعاء المؤمنين) (٧١) .
- من أعظم ما يزيد في الإيمان ويقوي حلاوة القلب الدعاء، قال ابن تيمية:(من تمام نعمة الله على عباده المؤمنين أن ينزل بهم الشدة والضر وما يلجئهم إلى توحيده، فيدعونه مخلصين له الدين، ويرجونه لا يرجون أحدا سواه، وتتعلق قلوبهم به لا بغيره فيحصل لهم من التوكل عليه والإنابة إليه وحلاوة الإيمان وذوق طعمه)(٧٢).

المبحث الخامس: ألفاظ الدعاء في القرآن:

في الكتاب العزيز كثير من الظواهر اللغوية والدلالية قد تناول الباحثون كثيرا منها وبقي أيضا كثير يحتاج إلى تسليط الأضواء عليه ودراسته، منها فنية النداء في القرآن الكريم؛معلوم أن أسلوب النداء من الأساليب النحوية والبلاغية والدلالية، وحين نلحظ النداء في القرآن نجد أمورا تستوقف النظر وتستدعي التأمل، من هذه الأمور استعمال القرآن الكريم لحرف النداء تارة وعدم استعماله مرة أخرى، لنبحث هذه الظاهرة ولو بصورة موجزة في القرآن و أنماط استعمالها وعدمه، فمن خلال استقراء الآيات القرآنية التي ورد بها النداء بـ(يا) نجد أن:

النداء من الله لعباده كان بحرف النداء(يا) دون غيره من الحروف، ولم أجد آية بها نداء من الله للعباد إلا بهذه الأداة، منها قوله تعالى: ((يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم)) البقرة/٤٠، وقوله تعالى: ((وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب))البقرة/١٩٧، وقوله تعالى: ((يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة)) النساء /١، وغيرها من الآيات؛فما اللطف الرباني في سر هذا الاستعمال أي نداء الله لعباده ودعوتهم في هذه الأداة أو الحرف.

أقر النحويون استعمال (يا) لنداء القريب والمتوسط والبعيد (٧٣)، وإن درجات القرب المعنوي من الله تعالى متفاوتة بين العباد المؤمنين ؛لذا فان خطاب الجليل لعباده بهذه الأداة أدق من غيرها، فهو جل شأنه يخاطب عموم الناس سواء المؤمنين أو غيرهم، ومنهم المقربون والأكثر قربا ومنهم غير ذلك فكان من المناسب ، جدا استعمال (يا)للنداء ليشمل

الناس كافة وبمختلف درجات قربهم منه تعالى.وإنه لعظم الذات الإلهية وعلو منزلتها كان وجوبا الفصل بحرف النداء بين ما يصدر منه تعالى ومن يصدر له.

-نداء ودعاء العُباد للّه ربهم:

من اللافت للنظر أيضا في الآيات الكريمة أن نداء البشر للّه لا يكون مصدرا بأداة النداء منوية أو مقدرة ؛وذلك منه قوله تعالى: ((وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله)) البقرة /١٢٦، وقوله: ((رب إني وضعتها أنثى..)) آل عمران /٣٦، وغيرها من الآيات.

بينما نلاحظ نداء نوح لأبنه ((ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا)) هود/٤٢، استعمل نوح مع ابنه النداء مصدرا بأداة النداء(يا)، ولكن في ندائه لربه: ((ونادى نوح ربه إن ابني من أهلي)) هود /٤٥، فهنا حذف تقدير لأداة النداء، ولكن لماذا كان نداء العباد أو البشر للّه بدون أداة؟ لعل من حكم ذلك:

١- إن اللّه قريب من عباده، فنداء البشر له لا يحتاج إلى أداة لقربه الشديد منهم، وحذف الأداة كان أدق تعبير عن هذا القرب.

٢- لعلم اللّه سبحانه بعباده وقربه منهم لا حاجة في مخاطبته أو ندائه لأداة النداء ؛لأن من مهام أداة النداء تنبيه المخاطب، وهذا التنبيه لا حاجة له هنا لأنه السميع العليم.

لم يرد في القرآن نداء للّه تعالى بأداة النداء (يا) إلا في موضعين كانا على سبيل الحكاية: ((وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا)) /الفرقان /٣٠، وقوله الحق: ((و قيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون)) الزخرف /٨٨.

إن (اللهم) هي اللفظة الصحيحة في الدعاء تدلنا على التأدب مع اللّه ؛لأننا نكون بحاجة اللّه في الأمور كلها وله الأمر من قبل ومن بعد، يقول الحسن البصري:(اللهم مجمع الدعاء)، وإن الميم التي في آخرها علامة جمع تدل في هذه اللفظة على عظمة اللّه، كما أن للّه تسع وتسعون اسما وليست صفات بل هي أسماؤه والميم دالة عليها، يقول أبو رجاء العطاردي: (إن الميم في قوله: (اللهم)فيها تسعة وتسعون اسما من أسماء اللّه تعالى. وقال النضر بن شميل:من قال: (اللهم) فقد دعا بجميع أسمائه).

نتائج البحث

بعد هذه الرحلة الممتعة في رحاب موروثنا الديني بخاصة أقدس كتاب وأعلاه بيانا، وتراثنا اللغوي الخالد أشير إلى نتائج توصل إليها البحث:

- الدعاء فيض من الشعور وضعف النفس وانكسارها يصارح فيه العبد ربه متجردا من قوته كاشفا عن حاجته في تذلل واستعطاف.
- إن الدعاء القرآني هو الأساس والأنموذج المحتذى، فيه من المعاني والأسرار لا يدركها إلا المتيقنون.
- إن مقام الدعاء من أصدق المقامات الخطابية، وأبعدها عن التكلف وبهرجة القول.
- غزارة مادة (دعاء) وثراء دلالاتها، وانفراد القرآن بمعان لم ترد في كلام الناس كالدعاء بمعنى العبادة والسؤال والقول والحث على الشيء والطلب والاستعجال ونداء الهلاك وهي في معظم تلك المعاني تخرج إلى المجاز.
- كثرة النداء بصفة الربوبية، وقلته بصفة الإلوهية لما في الربوبية من معاني التربية والإنعام والتفضل، واللجوء إلى مصدر الخير أملا في الإجابة.
- دقة القرآن في التعبير بالاسم والفعل ومراعاة الفروق الدقيقة في بعض الأفعال.
- أكثر دلالات التنكير شيوعا دلالة التعظيم ؛لرغبة الداعين في تعظيم ما يطلبون.
- استعمل القرآن الكريم لفظة الدعاء بمعان عدة شملت العبادة والنسب وغيرها.
- جاءت لفظة الدعاء بصيغ صرفية، منها الاسمية والفعلية، وصيغة اسم الفاعل، وصيغة فعيل المضافة إلى معمولها.
- الدعاء نوع من أنواع الذكر، على أن يكون بذكر أسماء اللّه وصفاته ومعانيها، والثناء على اللّه
- بها، وتوحيده.
- إنشاء الثناء على اللّه من الذاكر، وهو المذكور في الأحاديث نحو:سبحان اللّه، والحمد للّه، ولا إله إلا اللّه، واللّه أكبر.
- من أجل أنواع الذكر هو ذكر الآلاء والنعماء والإحسان.
- الخبر عن اللّه تعالى بأحكام أسمائه، وصفاته نحو قولك: اللّه عز وجل على كل شيء قدير على وزن فعيل وهي من صيغ المبالغة في اللغة فلله القدرة المطلقة وعلى الخلق كلهم، وإنه تعالى أشد فرحا بتوبة العبد، وهو السميع لأصوات عباده واستغفارهم.

الهوامش

١) مقاييس اللغة:٢/٢٧٩.

٢) مجمل اللغة:٢/٣٢٦، مختار الصحاح:٢٠٦

٣) لسان العرب: مادة (دعو).

٤) شأن الدعاء:٤٠٣.

٥) التعريفات:٨٥.

٦) ينظر الأصول في النحو:٢/١٧٠.

٧) ينظر:م.ن:٢/١٧٠.

٨) الإيضاح:١٣٨.

٩) ينظر مظاهر التطور في اللغة العربية المعاصرة(الموسوعة الصغيرة):٤٢.

١٠) ينظر: الأصوات اللغوية:٩.

١١) ينظر:أبحاث ونصوص في فقه اللغة:١٩٤.

١٢) الأصوات اللغوية:٨.

١٣) أبحاث ونصوص:١٨٨.

١٤) ينظر:دراسات في فقه اللغة:٢٨٥.

١٥) العين: ١/١٨٧.

١٦) كتاب سيبويه:٤/٤٣٣.

١٧) الأصوات اللغوية:٤٩، وينظر:علم الأصوات العام/أصوات اللغة العربية:١١٥.

١٨) ينظر:اللغة العربية معناها ومبناها:٧٩.

١٩) علم الاصوات:٢٤٧

٢٠) ينظر:كتاب سيبويه:٤/٤٣٤-٤٣٦، وينظر:سر صناعة الإعراب:١/٧٥-٧٦.

٢١) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها:٧٩، ودراسات في فقه اللغة:٢٨٢-٢٨٣.

٢٢) العين:١/٥٧.(١٢) ينظر:م.ن:١/٥٨

٢٣) العين:١/٥٢.

٢٤) العين:١/٥٣.(١٤)ينظر:م.ن:١/٥٨

٢٥) ينظر:كتاب سيبويه:٤/٤٣٤.

٢٦) ينظر:سر صناعة الإعراب:١/٦٠.

٢٧) الأصوات اللغوية:٧١.

٢٨) م.ن:٧١.

٢٩) علم الأصوات:٣٠٤.

٣٠) ينظر:العين:١/٥٣-٥٤، وكتاب سيبويه:٤/٤٣٤.

٣١) ينظر:اللغة العربية معناها ومبناها:٧٩.

٣٢) ينظر:العين)ع.ص.ن):١/٣٠٦.

٣٣) ينظر:الشافية:١/٧.

٣٤) ينظر:اللغة العربية معناها ومبناها:٣٥-٣٦، و٨٢.

٣٥) ينظر:الصرف الكافي:١٧.

٣٦) ينظر:علم الصرف الصوتي:١٥٢.

٣٧) الكشاف:٥/٢٢٩.

٣٨) م.ن:ن.

٣٩) تفسير القرآن العظيم:٦/٣١٧.

٤٠) روح المعاني:١٥/٣٦٦.

٤١) تفسير الطبري:٢٠/١٥٦.

٤٢) النكت والعيون:٤/٤٢.

٤٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٢/٣٤٠

٤٤) أضواء البيان:١٢٠-١٢١.

٤٥) في ظلال القرآن:المجلد الأول، الأجزاء:١-٤/١٧٣.

٤٦) م.ن:ن.

٤٧) إعراب القرآن الكريم وبيانه:١/ ٢٤٢.

٤٨) بحر العلوم:١/٢٦٢، وينظر:النكت والعيون:١/٢٤٩، وروح المعاني:٣/١٥.

٤٩) المصادر أنفسها: ن.

٥٠) كذلك

٥١) :كذلك.

٥٢) في ظلال القرآن: ١/٣٩٤.

٥٣) الكشاف:٣/٢٨٩، أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣/ ٢٧٠، مدارك التنزيل وحقائق التأويل:٢/١٢٦، روح المعاني:٩/٣٩٩.

٥٤) العين:١/٥٩١ (دلّ).

٥٥) المفردات:١٧٣(دلّ)، ولسان العرب: (دلل)، والكليات:١٨٠، وتاج العروس:٧/٣٢٣-٣٢٤.

٥٦) الحدود في النحو:٣٨.

٥٧) التعريفات:٦١، وينظر:كشاف اصطلاحات الفنون:٢/٢٨٤.

٥٨) ينظر:علم الدلالة:١١.

٥٩) ينظر دلالة الألفاظ:٧-٨.

٦٠) ينظر:إعراب القرآن وبيانه:٦/١٠٦..

٦١) ينظر: المفردات:١٧٦.

٦٢) ينظر:م. ن:ن.

٦٣) الإيضاح:١٣٨.

٦٤) ينظر:المفردات: ١٧٦.

٦٥) الآداب الشرعية:٢/٢٨٠.

٦٦) مسند أحمد:٢/٤٤٢، والترمذي:٣٣٧٣،

٦٧) وابن ماجة:٣٨٢٧.

٦٨) الترمذي:٣٥٤٨.

٦٩) مجموع الفتاوى: ١٠/٣٣٠.

٧٠) م.ن:٣٣٣ -٣٣٤.

٧١) ينظر:سيبويه:١٨٢/٢،

٧٢) والأصول في النحو:٣٢٩/١.

٧٣) والبهجة المرضية:٨٢/٢.

المصادر والمراجع

× **القرآن الكريم.**

- أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية، د.رشيد العبيدي، مديرية دار الكتب والنشر، بغداد، (د-ت).

الآداب الشرعية.

-الأصوات اللغوية، د.إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، مطبعة محمد عبدالكريم حسان، ١٩٩٩م.

-الأصول في النحو، لأبي بكر السراج(ت٣١٦هـ)، تحقيق د.عبدا لحسين الفتلي.

-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد أمين الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت.

-إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين درويش، ط١، ١٤١٥هـ، العراق النجف الأشرف.

-أنوار التنزيل وأسرار التأويل/ناصر الدين أبو سعيد البيضاوي(ت٦٨٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط١.

-الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن(ت٧٣٩هـ).

-بحر العلوم، لأبي الليث نصر، السمرقندي (ت٣٧٣هـ).

-البهجة المرضية على ألفية ابن مالك، جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، ط١٣.

- تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين الزّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٠٦هـ.

- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، د.رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

-تفسير القرآن العظيم/أبو الفداء، إسماعيل(ت٧٧٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيضون، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

- تفسير القرآن الكريم(ابن القيم)، ابن قيم الجوزية(ت٧٥١هـ)، تحقيق مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية باشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال/بيروت، ط١ ، ١٤١٠هـ.

- دراسات في فقه اللغة، د.صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط٥ ، بيروت، ١٩٧٣.

- دلالة الالفاظ، د.إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، (د-ت).

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي، (١٢٠٥هـ)، تحقيق علي عبدا لباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

- سر صناعة الإعراب، ابن جني (ت٣٩٢هـ)تح:محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

- سنن أبن ماجة، أبو عبد الله(ت٢٧٣هـ)، دار إحياء الكتب العربي، البابي الحلبي.

-سنن أحمد، أبو عبد الله(ت٢٤١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة.

- سنن الترمذي، محمد بن عيسى(ت٢٧٩هـ)، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

- الصرف الكافي، أيمن أمين عبدالغني، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

-شأن الدعاء

- علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية، د.بسام بركة، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٨٨م.

- علم الدلالة، د.أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة، ط١، الكويت، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

- علم الصرف الصوتي، د.عبد القادرعبد الجليل، مطبعة أزمنة للنشر، ط١، الأردن، ١٩٩٨م.

- في ظلال القرآن/سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٣٤، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- الكتاب، لسيبويه(ت١٨٠هـ)تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٣م.
-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل /محمود جار الله الزمخشري(ت٥٣٨هـ).دار المعرفة للطباعة، بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- لسان العرب/لابن منظور(ت٧١١هـ)، مصححة من نخبة من الأساتذة المختصين، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د.تمام حسان، الهيئة المصرية، ١٩٧٣.
- مجموع الفتاوى لابن تيمية، تحقيق:أنور الباز-عامر الجزار، دار الوفاء، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م، ط٣.
- مختار الصحاح، للرازي(ت٦٠٦هـ)، دار الرسالة /الكويت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات النسفي(ت٧١٠هـ)، دار الكلم، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن/البغوي، أبو محمد الحسين(ت٥١٠هـ)، ط١، دار إحياء التراث، لبنان.
- المفردات في غريب القرآن/الراغب الأصفهاني(ت٥٠٢هـ)، تحقيق صفوان عدنان داود، دار العلم الشامية، دمشق، ١٤١٢هـ.
- مقاييس اللغة /أحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار، دار الفكر، ١٩٧٩م.-النكت والعيون /أبو الحسن علي بن محمد
-النكت والعيون/أبو الحسن علي بن محمد الما وردي(١٠٥٨هـ)، تحقيق السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار النشر: الكتب العلمية، بيروت-لبنان.